إعانة الرحمن في إثبات شركية الاستعانة بالملائكة والجان

قرأه وأمر بنشره:

فضيلة الشيخ العلامة زيد بن محمد المدخلي

رحمه الله

قدم له:

فضيلة الشيخ الدكتور أحمد بن عمر بازمول

الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى

كتبه الفقير إلى مغفرة ربه:

أبو طارق الزبير بن محمد

كيرالا – الهند

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه

أما بعد

فقد وقفت على رسالة «إعانة الراعي في إثبات شركية الاستعانة بالملائكة والجان» لـ: فضيلة القاضي أبي طارق الزبير بن محمد ج فوجدتها رسالة قيمة أجاد فيها مؤلفها وأفاد، مستدلاً بالكتاب والسنة وآثار السلف، مستنيراً مستضيئاً بأقوال جهابذة العلماء أسود السنة وحماتها، وقد أورد جملة من شبه القائلين بجواز الاستعانة بهم وردّها وبيّن ما فيها من خطأ فجزاه الله خيراً، وجعله في موازين حسناته يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

نرضى الله وإياه الإخلاص في القول والعمل ومتابعة السنة والمنهج السلفي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

كتبه

د/ أحمد بن عمر بازمول

الأستاذ المشارك

بقسم الكتاب والسنة

بجامعة أم القرى

الثلاثاء ٤/ رجب/ ١٤٣٤

بســـــــــم الله الرحمن الرحيم

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور

أحمد بن عمر بازمول حفظه الله

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد:

فقد وقفت على رسالة (إعانة الرحمن في إثبات شركية الاستعانة بالملائكة والجان) لأخينا الفاضل أبي طارق الزبير بن محمد، فوجدتها رسالة قيمة أجاد فيها مؤلفها وأفاد مستدلا بالكتاب والسنة وآثار السلف، مستنيرا مستضيئا بأقوال جهابذة العلماء أسود السنة وحماتها، وقد أورد جملة من شبه القائلين بجواز الاستعانة وردها وبين ما فيها من خطأ فجزاه الله خيرا، وجعله في موازين حسناته يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون. إلا من أتى الله بقلب سليم.

رزقني الله وإياه الإخلاص في القول والعمل ومتابعة السنة والمنهج السلفي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

د/ أحمد بن عمر بازمول

الأستاذ المشارك بقسم الكتاب والسنة

جامعة أم القرى

الثلاثاء ٤/ رجب / ١٤٣٤هـ

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا إله غيره، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، محمد وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد طلبني كثير من الإخوة المنخرطين في منظمة ندوة المجاهدين بولاية كيرالا الهندية وغيرِهم بيانَ الحق في مسألة الاستعانة بالجن، وإيضاحَ مسلك أهل السنة والجماعة فيها، وذلك لسببين؛ أحدهما: أنها مسألة يناظرون فيها القبوريين بكيرالا علنا، وفي الآونة الأخيرة اختلفت أقوالهم فيها، وصار الخلاف بينهم سببا للتصدع في صفوفهم مرة أخرى، وأوردوا مقتطفات ومقتبسات من أقوال بعض العلماء للتلبيس، ومن ثم بدأ تسري شبهاتهم إلى عوام المسلمين أيضا. وثانيهما: إن مما استقر في قلوبهم وفي قلوب غيرهم أن أهل السنة لا يتعصبون لشخص ولا لحزب، ولا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادا، وليس لهم فيما يبيِّنون للناس قصدُ مجاراة العلماء أو مماراةِ السفهاء أو صرفِ وجوه الناس إليهم أو التفاصحِ عند الناس، وشأنهم في ذلك كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (كان قصدُهم بذلك بيانَ الحق ورحمةَ الخلق)[1]. وعليه؛ استشرت من الخلق من أراه أهلا لذلك، ثم استخرت الله، وعزمت أن أُبيِّن المسألة بما يسره الله لي من الأدلة الشرعية من كتاب الله عز وجل وصحيحِ سنةِ النبي ﷺ وعلى وَفقِ فهمِ سلفنا الصالح رضي الله عنهم، فأقول مستعينا بالله :

من هم أهل السنة ؟ أهل السنة والجماعة هم السلفيون أو الأثريون، وهم أهل الحديث، وهم الفرقة الناجية أو الطائفة المنصورة، وهم كل من مضى بعد رسول الله ﷺ على أَثرِه، والسابقون منهم أصحابُ محمد ﷺ ، والذين اتبعوهم بإحسانٍ هم اللاحقون منهم، والشاهد عليه قول الله تبارك وتعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم)[التوبة : ١٠٠]، وقول رسول الله ﷺ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قيل للنبي ﷺ يا رسول الله أي الناس خير؟ قال: أنا ومن معي، قال: فقيل له ثم من يا رسول الله؟ قال: الذي على الأثر، قيل له ثم من يا رسول الله ؟ قال: فرفضهم)[2]. (والأساس الذي تبنى عليه الجماعة هم أصحاب محمد ﷺ)[3] كما قال الإمام البربهاري. (وأصول السنة

١- الرد على البكري ج ٢ ص ٤٩٠

٢- أحمد في مسنده ج ٢ ص ٢٩٧

٣- شرح السنة للبربهاري ص ٢١

عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب محمد ﷺ والاقتداء بهم)[1] كما بين ذلك الإمام أحمد رحمه الله، لأنهم هم وحدهم شاهدوا التنزيل، وتلقوا الدين عمن أرسله الله إلى الثقلين غضا طريا، وأنهم بلغوا الأمة ما بلغهم إياه رسول الله ﷺ من غير أن يزيدوا عليه أو أن ينقصوا منه شيئا.

هم أعلم الناس بالحق: أهل السنة والجماعة هم أعلم الناس بالحق سبحانه جل في علاه، وبأسمائِه وصفاتِه، وبحقوقِه وأحكامِه، وبآياتِه وأخبارِه، لأنهم هم أهلُ الحديث، وهم ورثة النبي ﷺ فيما بلغه عن الله تعالى، وعن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال: (إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر)[2].

وهم أرحم الناس بالخلق: وهم العدول، يضعون الأمور في موضعها اللائق بها، ولا يظلمون في حق الله ولا في حق عباده، وبهذا هم وسط عدول يتعبدون لله برحمتهم للخلق، قال الله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) [البقرة : ١٤٣]، وقد فسر غير واحد من السلف – منهم أبو سعيد وأبو هريرة وقتادة ومجاهد وغيرهم – أمة وسطا أي: عُدولا، وعن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ قال: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[3]، وعن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري عن النبي ﷺ قال: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[4].

ومن علمهم بالحق وعدلهم رحمتهم بالخلق تفريقُهم بين المخالف والمخالفة: وأنهم ينظرون إلى المخالفة الشرعية وإلى المخالف، ويُفرّقون بينهما، كما أنهم يُفرّقون بين المخالفات الشرعية بما تقتضيه نصوص الكتاب والسنة وبما أجمع عليه سلف الأمة، وإن ثبت بالأدلة المتفق عليها أن المخالفة كفر وشرك قالوا إنها كفر وشرك، وإن ثبت بالأدلة المتفق عليها أنها بدعة قالوا بدعة، وإن ثبت بالأدلة أنها فسق قالوا فسق، من غير مجازفة ولا شطط، ومن علمهم بالنصوص وتمام عدلهم ورحمتهم بالخلق أيضا أنهم يُقسِّمون البِدَعَ إلى مكفِّرة وإلى مفسِّقةٍ حسبما تقتضيه النصوص والإجماع، ومن تمام عدلهم أيضا أنهم لا يحكمون على المخالف بعد ثبوت مخالفته كفرا أو بدعة أو فسقا بالأدلة المتفق عليها أو الإجماع

١- أصول السنة للإمام أحمد

٢- أخرجه الترمذي في سننه ج ٥ ص ٤٨ وصححه الألباني

٣- البخاري، كتاب بدء الوحي

٤- أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ج ١ ص ٤٤ وصححه الألباني

أنه كافر أو مبتدع أو فاسق إلا على الإطلاق والتعميم، وأما الحكم على المخالف بأنه كافر أو مبتدع أو فاسق على وجه التقييد والتعيين فيحتاج إلى مزيد نظر من أهل العلم الراسخين، فينظر هؤلاء الراسخون المتمكنون هل هذا الوصف منطبق على هذا الشخص المعين؟ وهل توفرت فيه شروطه؟ وانتفت موانعه؟ فيحكمون له أو عليه بأدلة قاطعة من غير مجازفة ولا شطط.

مصادر التلقي عند أهل السنة : ومصادر تلقي العلم والدين عند أهل السنة والجماعة هي كتاب الله العزيز وصحيح سنة النبي صلى الله عليه وسلم. قال الله تعالى: (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) [الأعراف : ٢] وقال: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فرُدُّوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا) [النساء : ٥٩]، وعن أبي هريرة ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ : (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما؛ كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض)[١].

الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة: وأهل السنة والجماعة لا يُنزِّلون نصوص الكتاب والسنة إلا على فهم الصحابة رضي الله عنهم، وهم محل الثقة، ومحل العدل، ومحل الثناء، وهم ضمان لهذه الأمة وقال ﷺ : (وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)[٢]. وقد جعل الله اتباعَهم بإحسانٍ سببا للاهتداء، وجعله دينا يوجب رضى الله سبحانه، ودخولَ الجنة والخلودَ فيها؛ وذلك الفوز العظيم، وقال سبحانه: (فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) [البقرة : ١٣٧] وقال: (و السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) [التوبة : ١٠٠]، وعن عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (هلاك أمتي في الكتاب واللبن، قالوا يا رسول الله ما الكتاب واللبن؟ قال يتعلمون القرآن فيتأولونه على غير ما أنزل الله عز وجل، ويحبون اللبن فيدعون الجماعات والجمع ويَبْدُون)[٣]. وكما قال أبو العز الحنفي رحمه الله: (بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصلُ كلِّ بدعة وضلالة نشأت في الإسلام،

١- الحاكم في المستدرك ج ١ ص ٩٣

٢- مسلم في صحيحه، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه وبقاء أصحابه أمان للأمة

٣- أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٥٥

وهو أصل كل خطأ في الفروع والأصول، ولا سيما إن أضيف إليه سوء القصد، والله المستعان)[1].

أهل السنة لا يقدمون العقل على النقل: وهم دائما مع النقول، يدورون حيث دارت، ويقفون حيث وقفت، وليس عندهم التحسين والتقبيح العقلي المطلق، ولا يقيسون الأمور برأيهم، ويعتصمون بالنصوص، ويتَّهِمون العقول، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم) [الحجرات : ١]، وقال: (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) [الأحزاب : ٣٦]، وقال: (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون) [المؤمنون : ٧١]، وعن معاذة قالت، سألت عائشة فقلت: (ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ فقالت: أحرورية أنتِ؟ قلت: لستُ بحرورية ولكني أَسأَلُ، قالت: كان يصيبنا ذلك فنُؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة)[2]. ومن تقديم أهل السنة والجماعة النقل على العقل أنهم يصلون على النعال داخل المسجد، ويخلعونهما عند المشي في القبور، وهم مع النصوص دائما، لا مع الآراء والأهواء، وقال أمير المؤمنين علي ﷺ : (لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفيه)[3].

أهل السنة والجماعة لا يخوضون في المراء والجدال والخصومات في الدين: والجدل هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وليس عندهم هذا الجدل الممقوت، ولا يتبعون المتشابهاتِ ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويلها، بل يردُّونها إلى المحكمات، وإنهم الذين ينظرون إلى ما أُمروا به ليعملوا به، وينظرون إلى ما نُهوا عنه ليبتعدوا عنه، وقال الله تبارك وتعالى: (إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) [غافر : ٥٦]، وقال: (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب) [آل عمران : ٧]، وعن أبي أمامة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثم قرأ (ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم

١- شرح الطحاوية ج ١ ص ٣٩٦

٢- مسلم في صحيحه، باب وجوب قضاء الصوم على الحائض دون الصلاة

٣- أبو داود في سننه، باب كيف المسح

خصمون) [الزخرف : ٥٨])[1]. وما أحسن ما أورده الحافظ ابن رجب رحمه الله حكايةً عن بعض السلف: (إذا أراد الله بعبد شراً أغلق عنه باب العمل وفتح له باب الجدل، وقيل لمالك بن أنس: الرجل يكون عالماً بالسنن يجادل عنها؟ قال: لا، ولكن يخبر بالسنة فإن قُبل منه وإلا سكت، وقال: المراء والجدال في العلم يَذْهب بنور العلم وقال المراء في العلم يُقسّي القلبَ ويورث الضِغْنَ)[2]. انتهى كلامه.

أهل السنة يسلمون للنصوص والآثار: التسليم للنصوص والآثار هو مبدأ ديني عند أهل السنة والجماعة، لا يزعزعه شيء، ويعتقدون أن التشريع والبيان من الله عز وجل فقط، قال تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل به، إن علينا جمعه وقرآنه، فإذا قرأناه فاتبع قرآنه، ثم إن علينا بيانه) [القيامة : ١٦-١٩] وكذلك يعتقدون أنما على رسولنا البلاغ المبين، قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) [النجم : ٣-٤]، وقال: (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين) [التغابن : ١٢]، فلا يبقى على الناس إلا التسليم لله ولشرعه، والاستسلام السريع لأوامره ونواهيه، وقال تعالى: (إنما كان قولَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) [النور : ٥١]. ومن روائع هذا الباب ما أورده ابن الجوزي عن أبي هريرة ﷺ قال: (لما أنزل الله تعالى (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) [البقرة : ٢٨٥] اشتد ذلك على أصحاب النبي ﷺ فأتوا رسولَ الله ﷺ ثم جثوا على الركب فقالوا: قد أُنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها، فقال: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا؟ قولوا :سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما قالوها وذلت بها ألسنتهم أنزل الله في إثرها (آمن الرسول..إلخ) [البقرة : ٢٨٥][3]. وما أحسن ما روى الإمام البخاري عن محمد بن شهاب الزهري أنه قال: (من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم)[4].

أهل السنة يجتمعون على الحق، وينابذون الفرقة والإختلاف: أهل السنة والجماعة يسيرون على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ويلزمون جماعة المسلمين وإمامهم، وهم قوم مجتمعون، يأخذون بكل أسباب الإئتلاف والاجتماع، وينابذون الفرقة وجميع أسبابها، وقد افترقت الأمم قبلهم على الأهواء والآراء، وليس افتراق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا على الأهواء، فيمقتون الأهواء وأهلها،

١- أحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٥٦

٢- بيان فضل علم السلف على علم الخلف

٣- زاد المسير ج ١ ص ٢٩٥

٤- البخاري في صحيحه معلقا، كتاب بدء الوحي

ويشنعون عليهم، ويحذرون منهم، لأنهم يلبسون على الأمة دينها، ويفرقونها فرقا وأحزابا، وعن أبي عامر عبد الله بن لحي قال: (حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر فقال إن رسول الله ﷺ قال: إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عِرق ولا مفصِل الا دَخَلَه، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أحرى أن لا يقوم به)[1].

كيفية تلقي العلم والدين عند أهل السنة : فإذًا؛ أهل السنة والجماعة يرجعون إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ في جميع شؤون حياتهم، ويتأكدون من صحة الأحاديث والآثار، ولا يردُّون شيئا من كتاب الله عز وجل وصحيح سنة النبي ﷺ ، ويُنزِّلون نصوص الكتاب والسنة على مراد الله ومراد رسوله ﷺ، ويرجعون إلى أهل العلم بسؤالهم عما لا يعلمون، ويربطون الناس بعلمائهم وأمنائهم، وفي النوازل لا يرجعون إلا إلى أولي الأمر منهم، ويعلمون أن أولي الأمر هم السلاطين وأكابر العلماء، ويقدمون أكابرهم وأمناءهم، ولا يلتمسون العلم عند الأصاغر، ويعلمون أن الأصاغر هم شرار الناس من أهل الأهواء والبدع، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال قال النبي ﷺ: (إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبق عالما اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسُئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا)[2]. وقد أورد ابن المبارك أثرا نفيسا عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم، فذلك حين هلكوا)[3]. وما أحسن ما أورده ابن أبي العز رحمه الله في شرحه للعقيدة الطحاوية عن ربيعة ابن أبي عبد الرحمن أنه قال: (الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم)[4].

أساس دعوة أهل السنة والجماعة: أهل السنة والجماعة يدعون الناس على بصيرة إلى ما دعا إليه جميع أنبياء الله ورسله، من لدن نوح أولهم إلى محمد آخرهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وأصل دين الأنبياء وأساسه أمران، أولهما: توحيد الله عز وجل وإخلاص الدين كله له، وحث الناس على إفراد العبادة له وحده، لا شريك له، والموالاة فيه، وتكفير من تركه، والتوحيد أعظم ما أمر الله به عباده، ومن

١- أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٠٢

٢- البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي

٣- كتاب الزهد لعبد الله بن المبارك ص ٢٨١

٤- شرح الطحاوية ص ٦٠

دونه لا يقبل الله عملا، ومن أجل تحقيقه خلق الله الثقلين؛ الجنَ والإنسَ، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، ورفعت راية الجهاد، وسفكت الدماء، وسبيت الأنجال والأولاد، وصودرت الأموال، وأقيمت سوق الجنة وسوق النار، وصار الناس فريقين، فريق في الجنة وفريق في السعير، وقال تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) [الذاريات : ٥٦]، وقال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) [الأنبياء : ٢٥]، وقال: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدو الله واجتنبوا الطاغوت) [النحل : ٣٦]، وعن أبي مالك عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من قال لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرُم ماله ودمه، وحسابه على الله)[1]. وأورد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد ما استنبطه من فقه هذا الحديث وفوائده، وقال: (وهذا من أعظم ما يبيِّن معنى لا إله إلا الله؛ فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال، بل ولا معرفةَ معناها مع لفظها، بل ولا الإقرارَ بذلك، بل ولا كونَه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له، بل لا يحرُم مالُه ودمُه حتى يضيف إلى ذلك الكُفرَ بما يُعبد من دون الله، فإن شك أو توقف، لم يُحرَم ماله ولا دمه، فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها !ويا له من بيان ما أوضحه ! وحجةٍ ما أقطعها للمنازع !)[2]. انتهى كلامه رحمه الله. وعن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ : (أن جبريل عليه السلام عَرض له في جانب الحرة ثم قال: بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة)[3].

ثانيهما: الشرك بالله، وهو أعظم ذنب عصي الله به، فتجب مجانبته، والتحذير منه، والتغليظ فيه، والمعاداة فيه، وتكفير من فعله، ومن مات عليه فلن يغفر الله له، وليَحْبَطَنَّ عملُه، وتكون الجنةُ محرمةً عليه، ومأواه النار لا محالة، ويخلد في جهنم مهانا إلى أبد الآبدين، وقال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما)، (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) [النساء : ٤٨، ١١٦]، وقال: (ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين) [الزمر : ٦٥]، وقال تعالى: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) [المائدة : ٧٢]، وقال: (إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديم طريقا، إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا) [النساء : ١٦٨-١٦٩]، وعن أنس عن النبي

١- مسلم في صحيحه، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله

٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ج ١ ص ١٠٦

٣- البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي

ﷺ في الكبائر قال: (الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقول الزور).[1]

التوحيد هو إفراد الله بالعبادة : التوحيد الذى جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الإلهية لله وحده بأن يشهد أن لا إله إلا الله، لا يُعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالى إلا له، ولا يعادى إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وبهذا بعث الله رسوله محمدا ﷺ إلى مشركى العرب، وكانوا مقرين بأن الله وحده خالقُ كل شئ، وكانوا مع هذا مشركين، وقال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) [يوسف : ١٠٦]، وليس المراد بالتوحيد مجردَ توحيد الربوبية، وهو اعتقاد أن الله وحده خلق العالم، والتوحيد الذي بعث الله به رسله هو تحقيق العبودية والألوهية لله وحده لا شريك له.

الدعاء هو العبادة : ومن له دراية بالكتاب والسنة فلا يشك أن الدعاء هو العبادة، ويكفي أن أورد هنا ما قاله الحافظ الحكمي رحمه الله في معارج القبول في هذا الباب: (وفي جامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ليس شيء أكرمَ على الله من الدعاء)، وفيه عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الدعاء مخ العبادة)، وقال غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، ومعنى مخ العبادة أي خالصُها، وفيه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (الدعاء هو العبادة)، ثم قرأ (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) [غافر : ٦٠]، وقال الترمذي حديث حسن صحيح، وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إنه من لم يسأل الله يغضب عليه)، وفيه من حديث ابن عباس مرفوعا: (إذا سألت فاسأل الله)، وهو حديث حسن صحيح)[2]. انتهى كلامه رحمه الله.

الدعاء على قسمين؛ دعاء عبادة ودعاء مسألة، وقد بين هذا العلامة ابن عثيمين رحمه الله وقال: الدعاء ينقسم إلى قسمين: دعاء مسألة، ودعاء عبادة، فدعاء المسألة أن تقول: يا رب اغفر لي، ودعاء العبادة أن تصلي لله، فنحتاج الآن إلى دليل وتعليل على أن العبادة تسمّى دعاءً، الدليل قول الله تعالى: (وقال ربكم ادعوني استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) [غافر : ٦٠][3]. انتهى كلامه رحمه الله، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاويه: (فكل دعاءِ عبادةٍ

١- مسلم في صحيحه، باب بيان الكبائر وأكبرها

٢- معارج القبول بشرح سلم الوصول ج ٢ ص ٤٤٣

٣- التلخيص المعين على شرح الأربعين ص ١٩٩

مستلزمٌ لدعاءِ المسألةِ، وكل دعاءِ مسألةٍ متضمنٌ لدعاءِ العبادةِ)[1]. انتهى كلامه رحمه الله.

الاستعانة عبادة : الاستعانة هي طلب العون[2]، والاستعاذة هي الالتجاء إلى الغير والتعلق به[3]، والاستغاثة هي طلب الغوث لإزالة الشدة، وفي كل منها دعاء ومسألة، ولذلك فهي عبادة، وقال تعالى: (قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق..الخ) [الفلق]، وقوله: (قل أعوذ برب الناس، ملك الناس، إله الناس من شر الوسواس الخناس..إلخ) [الناس]، وقوله تعالى: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملئكة مردفين) [الأنفال : ٩]، وقال: (إياك نعبد وإياك نستعين) [الفاتحة : ٥]، وهذه الآية هي العهد الذي بين العبد وربه، وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (قال الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله تعالى حمدني عبدي، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله تعالى أثنى علي عبدي، وإذا قال: (مالك يوم الدين) قال مجدني عبدي، فإذا قال: (إياك نعبد وإياك نستعين)، قال هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل، فإذا قال: (اهدنا الصراط المستقيم،، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم، ولا الضالين) قال هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل)[4]. وعن ابن عباس ﷺ قال: (كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال يا غلام! إني أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)[5].

الاستعانة لا تصرف لغير الله: والأدلة على هذا أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر، وقال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية الحراني رحمه الله في فتاويه: (فصل في ألا يسأل العبد إلا الله، قال الله تعالى: (فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب) قال النبي ﷺ لابن عباس (إذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله) وفي الترمذي (ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسعَ نعله إذا انقطع فإنه إن لم ييسره

١- انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١ ص ١٠٣

٢- انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية

٣- انظر مفردات القرآن للإمام الراغب ص ٥٩٤

٤- مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة

٥- الترمذي في سننه ج ٤ ص ٦٦٧

لم يتيسر)، وفي الصحيح أنه قال لعدي بن مالك والرهطِ الذين بايعهم (لا تسألوا الناس شيئا) فإن سوط أحدهم يسقط من يده فلا يقول لأحد ناولني إياه، وفي الصحيح في حديث السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب (هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون)، والاسترقاء طلب الرقية، وهو نوع من السؤال، وأحاديث النهي عن مسألة الناس الأموالَ كثيرة، كقوله (لا تحل المسألة إلا لثلاثة)، وقوله (لأن يأخذ أحدكم حبله) الحديث، وقوله (لا تزال المسألة بأحدهم) وقوله (من سأل الناس وله ما يغنيه) وأمثال ذلك، وقوله (من نزلت به فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته) الحديث[1]. وقال رحمه الله في موطن آخر من فتاويه: (والله سبحانه وتعالى أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو، فتخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته وبرجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به، ولهذا كان وسط الفاتحة (إياك نعبد وإياك نستعين) قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح (يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي... وإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل)[2]. انتهى كلامه رحمه الله.

من استعان بغير الله فقد أشرك: ويستنتج مما سبق كما قال العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ في فتح المجيد شرحِ كتاب التوحيد أن كلَّ أمرٍ شرَعه الله لعباده وأَمرَهم به، ففِعله لله عبادة، فإذا صَرف من تلك العبادة شيئا لغير الله فهو مشرك، مصادم لما بعث به رسوله من قوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) [الزمر : ١٤][3].

ما استثناه الشرع منها بدليل هو أخذ الأسباب المأذونة دون الالتفات إليها: والدليل على هذا من الكتاب الكريم قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم) [النساء : ٧١] وقوله تعالى: (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) [الأنفال : ٦٠]، وقوله تعالى: (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله) [الجمعة : ١٠]، وقوله تعالى للصديقةِ مريمَ بنتِ عمران: (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) [مريم : ٢٥]، وعن أبي الدرداء ﷺ قال قال رسول الله ﷺ : (إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تتداووا بحرام)[4]. وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك،

١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ج ١ ص ٧٨

٢- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية ج ١٨ ص ٣١٩

٣- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٥٩

٤- أبو داود في سننه، باب في الأدوية المكروهة

واستعن بالله، ولا تعجِز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدَرُ الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان)[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (ففي قوله ﷺ (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز) أمر بالتسبب المأمور به، وهو الحرص على المنافع، وأمر مع ذلك بالتوكل، وهو الاستعانة بالله، فمن اكتفى بأحدهما فقد عصى أحد الأمرين)[2]. انتهى كلامه رحمه الله. ومما يجب التفطن له أن أخذ الأسباب إنما هو بأمر الله، فيجب الاعتماد على الله، ولا ينبغي الالتفات إلى الأسباب والاعتماد عليها، وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام في بيان هذه النقطة الدقيقة: (ومما ينبغي أن يعلم ما قاله طائفة من العلماء، قالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسبابا نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، وإنما التوكل والرجاء معنى يتألف من موجب التوحيد والعقل والشرع، وبيان ذلك؛ أن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والاستناد إليه، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا، لأنه ليس مستقلا، ولا بد له من شركاءَ وأضدادٍ، ومع هذا كله فإن لم يسخِّره مسبب الأسباب لم يُسخَّر، وهذا مما يبين أن الله رب كل شيء ومليكه، وأن السموات والأرض وما بينهما والأفلاكَ وما حوته، لها خالق مدبر غيرها، وذلك أن كل ما يصدر عن فلك أو كوكب أو ملك أو غير ذلك فإنك تجده ليس مستقلا بإحداث شيءٍ)[3]. انتهى كلامه رحمه الله .وقال في موطن آخر من فتاويه: فالقلب لا يتوكل إلا على من يرجوه، فمن رجا قوته أو عمله أو علمه أو حاله أو صديقه أو قرابته أو شيخه أو مُلْكه أو ماله غير ناظر إلى الله كان فيه نوع توكل على ذلك السبب، وما رجا أحد مخلوقا أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مشرك (ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) [الحج: ٣١][4]. انتهى كلامه رحمه الله.

من الأسباب المأذونة للبشر الاستعانة ببني جنسه فيما يقدرون عليه: والدليل على هذا من التنزيل الكريم قول الله تبارك وتعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) [المائدة : ٢] وقوله تعالى: (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) [الأنفال : ٧٢]، ومما يستدل

١- مسلم في صحيحه، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله

٢- الفتاوى الكبرى لابن تيمية ج ١ ص ١٠٩

٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ٨ ص ١٦٩

٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٠ ص ٢٥٧

عليه من السنة قوله ﷺ : (انصر أخاك ظالما أو مظلوما)[1]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وكذلك الاستعانة أيضا، منها ما لا يصح إلا لله، وهي المشار إليها بقوله (إياك نعبد و إياك نستعن) [الفاتحة : ٣]، فإنه لا يعين على العبادة الإعانةَ المطلقة إلا الله، وقد يستعان بالمخلوق فيما يقدر عليه كما قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى) [المائدة : ٢]، وذلك الاستنصار، وقال تعالى: (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) [الأنفال: ٧٢]، والنصر المطلق هو خلق ما به يغلب العدو لا يقدر عليه إلا الله تعالى)[2]. انتهى كلامه. وقال رحمه الله في موطن آخر منه: (ومعونة الإنسان لغيره إنما هي بفعله القائم في محل قدرته، وهي شيء لا يخرج عنه، وما خرج عن محل قدرته فقد تقدم الكلام فيه، وغايته أن يكون له فيه شرك)[3]. انتهى كلامه رحمه الله.

الجن ليس من الأسباب المأذونة للبشر لقضاء حوائجهم : إن النصوص المستفيضة من كتاب الله عز وجل ومن صحيح سنة النبي ﷺ مثل (إياك نعبد وإياك نستعين) وقوله ﷺ (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله) وما في معناهما تدل دلالة صريحة واضحة أن الاستعانة عبادة، لا تصرف إلا لله، ومن صرف منها شيئا لغير الله فقد أشرك شركا أكبر ناقلا من الملة، فلا تجوز الاستعانة بالجن ولا بغيرهم، فمن فعلها فهو كافر مشرك. وأما اتخاذ الجن سببا لقضاء الحوائج فيما يقدرون عليه كما يستعين الإنسان ببني جنسه فيما يقدرون عليه فهذا أمر لم يرد في الشرع دليل عليه، لا في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ﷺ، وأنه لم يرد عن النبي ﷺ حديث صحيح ولا ضعيف أنه استعان بالجن في قضاء حوائجه، وما عدَّهم النبي ﷺ من الأسباب المأذونة طيلة حياته، وكذا أصحابه؛ ولم يرد عن أحد منهم أنه استعان بالجن في أمر من أمور دينه أو دنياه، وما اعتبروا عالم الجن من الأسباب المأذونة، وهذا أمر مجمع عليه عند سلف الأمة.

اتخاذ الأسباب غير المشروعة والإلتجاء إليها شرك بالله سبحانه: ومن المعلوم من دين الإسلام بالضرورة أن الالتجاء إلى الأسباب والاعتماد عليها غير ناظر إلى الله قدح في التوحيد، ومن المقرر في دين الله أيضا أن اتخاذ الأشياء التي لم يجعلها الله تعالى سببا للإنسان لقضاء حوائجه شرك بالله سبحانه، ومصداقه ما ورد عن عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: (الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثا وما منا

١- البخاري في صحيحه عن أنس ﷺ ، كتاب بدء الوحي

٢- الرد البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ١ ص ٤٢٢

٣- الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية ج ١ ص ٤٣٨

إلا ولكن الله يذهبه بالتوكل)[1]، وقال ﷺ : (إن الرقى والتمائم والتولة شرك)[2]، والالتجاء إلى غير الله يقع في صور مختلفة، وقد ردَّ الله سبحانه وتعالى الاستعانة بغير الله والدعاء لغيره في غير ما آية، ومنها قوله تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا، أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا) [الإسراء : ٥٦-٥٧]، وقوله تعالى: (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) [الأعراف : ١٩٧]، وقوله: (ولا تدع من دون الله ما لاينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين) [يونس : ١٠٦]، وقوله: (إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيمة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) [فاطر : ١٤]، وقوله: (ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) [الزخرف : ٨٦]، وقوله: (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير) [الحج : ١٣]، وقوله: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) [الأعراف : ١٩٤]، وقوله: (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب) [الحج : ٧٣]، وقوله: (ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا) [الكهف : ١٤]، وقوله: (ألا إن لله من في السموات ومن في الأرض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) [يونس : ٦٦]، وقوله: (ذلك بأن الله هو الحق وأنما يدعون من دونه الباطل وأن الله هو العلي الكبير) [لقمان : ٣٠]، وقوله: (فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين) [الشعراء : ٢١٣]، وقوله: (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به، فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) [المؤمنون : ١١٧]، وقوله: (ومن أضل ممن يدعو دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون، وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتهم كافرين) [الأحقاف : ٥-٦]، وقوله: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له، حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير) [سبأ : ٢٢-٢٣] فنفى الله الملك والشرك، ونفى أن يكون له ظهير أو شفيع، وسد جميع الأبواب التي توصل إلى الشرك.

٣- أبو داود في سننه، كتاب الطب ج ٤ ص ٢٤

٤- أبو داود في سننه، كتاب الطب، باب في تعليق التمائم

وأوضح من هذا في الباب؛ أنه قد وردت نصوص كثيرة في منع الاستعانة والاستغاثة والاستعاذة بالجان، وفي بيان مغبتها وعواقبها الوخيمة، ومن الشاهد عليه من كتاب الله عز وجل قوله تعالى: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [الجن : ٦]، وقوله سبحانه: (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) [فاطر : ٦] وقوله تعالى: (ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) [الأنعام : ١٢٨]، وقد أورد الأئمة في تفسير الآية المذكورة آنفا من سورة الجن ما معناه: وذاك أن الرجل من العرب كان إذا أمسى بواد قفر وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد كبير الجن، وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الاستعاذة بغير الله، وقال ملا على القاري: لا يجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك وذكر الآية وقال: قال تعالى: (ويوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم) [الأنعام : ١٢٨]، فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه، وامتثالِ أوامرِه وإخبارِه بشئ من المغيَّبات، واستمتاعُ الجني بالإنسي تعظيمُه إياه وإستعاذتُه به وخضوعُه له، انتهى ملخصا، قال المصنف: وفيه أن كون الشئ يحصل به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك[1]. انتهى.

الاستعانة بالجن شرك أكبر : ومما سبق من الأدلة الناصعة البياض من نصوص الكتاب والسنة اتضح لنا أن الاستعانة بالجن شرك أكبر، وقد أفتى بذلك غير واحد من الأئمة، ومنهم العلامة الشيخ ابن باز رحمه الله، وإليكم نص فتواه:

السؤال الخامس: اشتهر عند بعض العوام أن يقول أحدهم قبل النوم يا ملئكة الحفظ! أيقظوني في الساعة كذا، أو عند وقت كذا؟

الجواب: هذا لا يجوز، بل هو من الشرك الأكبر، لأنه دعاء لغير الله، وطلب من الغائب، وهو كالطلب من الجن والأصنام والأموات لعموم قوله تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) [الجن : ١٨]، وقوله سبحانه: (ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه لا يملكون من قطمير، إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير) [فاطر

٢- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ١٥٥

: ١٣-١٤]، فسمى سبحانه دعاء غيره من الأموات والأصنام والجن والملئكة شركا به سبحانه، وقال عز وجل: (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) [الجن : ٦]، وقال سبحانه: (ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهانه له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) [المؤمنون : ١١٧]، فسمى الداعين لغيره كافرين، وهذا يعم جميع المدعوين من دون الله من أموات أو أصنام أو جن أو ملئكة، ولا يستثنى من ذلك إلا الحي الحاضر القادر لقول الله سبحانه في قصة موسى (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) [القصص : ١٥].

ومن هذا الشرك قول بعض الناس يا جن! خذوه، يا سبعة! خذوه، يا جن الظهيرة! خذوه، أو يا جن الشعب الفلاني! أو يا جن بلد فلان! فهذا كله شرك أكبر ودعوة لغير الله من الغائبين، وإذا قال: يا ملئكة الله! أيقظوني أو احفظوني فهذا شرك أكبر، أو يا جن البيت احفظوني أو أيقظوني فهذا شرك أكبر، نعوذ بالله من ذلك، والواجب على المسلم أن يحذر ذلك، وأن يستغيث بالله وحده، ويسأله وحده، ففيه الكفاية سبحانه، وهو القادر على كل شيء، وهو القائل عز وجل: (ادعوني استجب لكم) [غافر : ٦٠] والقائل سبحانه: [وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعاني فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) [البقرة : ١٨٦]، ويقول النبي ﷺ: (إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله).

نسأل الله أن يوفقنا وجميع المسلمين للفقه في دينه والسلامة من أسباب غضبه، إنه سميع قريب.[1]

ونورد هنا أيضا فتوى من اللجنة الدائمة، وإليكم نص الفتوى: سؤال: في البلدة التي أسكن فيها، الشرك منتشر بكل مظاهره من الشعوذة والسحر والاستعانةِ بالأولياء والصالحين، وقد وُضع في يدي كتاب عنوانه علاج الأمور السحرية، وكتاب الشرك ومظاهره، وجدت فيها جملة من الأحاديث الصحيحة للنبي ﷺ تبيح الرقي بالقرآن، فاشتغلت بالرقي، ولكثرة المرضى خصوصًا الذين بهم سحر أو صرع أصبحت أرقي ليلاً ونهارًا، فهل يجوز لي أن أستعين بجني لأجل إخراج السحر، أو آمره أن يبحث عن التمائم المخفية؟ جواب: لا يجوز الاستعانة بالجن والغائبين، لأن هذا من الشرك بالله عز وجل، لأن الاستعانة عبادة لا يجوز صرفها لغير الله لامن الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة ولا غيرهم، إلا مع القادر الحي الحاضر من الإنس فيما يقدر عليه، كالاستعانة بالإنسان الحي القادر في الزراعة والبناء وقتال الأعداء، أما الجن فحكم حاضرهم كغائبهم لا تجوز الاستعانة بهم في شيء من الأشياء، لقول الله

١- مجموع فتاوى ومقالات متنوعة للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، ج ٧ ص ١٨٦-١٨٨

عز وجل (إياك نعبد وإياك نستعين) وقول النبي ﷺ (وإذا استعنت فاستعن بالله)، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله صحبه وسلم. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء.

الرئيس	نائب الرئيس	عضو	عضو	عضو	عضو
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد الرزاق عفيفي	عبد الله بن غديان	صالح الفوزان	عبد العزيز آل الشيخ	بكر أبو زيد

ومن قال غير هذا فليس له دليل من كتاب الله ولا من سنة رسول الله ﷺ، ولا من إجماع سلف الأمة، وإنما قاس الجن بالإنس في هذه المسألة، فقياسه قياس مع الفارق وباطل مردود كما بين ذلك الشيخ عبد الله بن عبد الرحيم البخاري في إجابته على سؤال، فقال حفظه الله: (فانتبه أيها المحب في الاسترسال، ومن قال — وأنا أعرف من قال هذا – من أهل العلم سواء مما سبق ومن المعاصرين إلا أنه قول مرجوح ضعيف اجتهد صاحبه فلم يصب، هم قاسوا أن الاستعانة بالجن المسلم كالاستعانة بالإنس المسلم، هي لو كانت الصورة كذلك لقلنا بالجواز، لكن الفرق بين، هم عالم غيب وأنتم عالم شهادة، ولذا افترق[1] الله جل وعلا – يقول: (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) (قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك)، نعم)[2].

ومن فعل شيئا من هذا النوع فعليه أن يتوب إلى الله إن كان جاهلا، وإن كان متعمدا فعليه أن ينطق بالشهادتين ويدخل في الإسلام من جديد كما وضح بذلك الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله، وإليكم نص كلامه: وقال حفظه الله إجابة على سؤال: (يقول السائل: هناك مقولات مثل اخطفوه أو اكسروا رقبته أو خذوه، هل يعتبر ذلك من مناداة الجن؟

الجواب: نعم، مناداة الغائب من الجن أو من بني آدم وهو غائب يعتبر هذا ممنوعا لأنه من الاستغاثة بغير الله عز وجل والاستعانة بغير الله، نعم..

يقول تكملة للسؤال يا شيخ: وهل يجب عليه أن ينطق بالشهادة بعد ذلك؟

١- كذا قال الشيخ في درسه، والظاهر أنه أراد 'فرّق'

٢- موقع ميراث الأنبياء، العنوان: ما نصيحتكم للذين يرمون الشرك الأكبر على من أجاز الاستعانة بالجن المسلم؟

الجواب: عليه أن يتوب إلى الله، إذا كان جاهلا تكفي التوبة، أما إذا كان تعمد هذا الشيء فلا بد أن يدخل في الإسلام من جديد، نعم..)[1].

وبهذا يتضح لنا أن دعوى الملبسين بأن الجني إن كان مسلما صالحا حاضرا قادرا فالطلب منه ليس دعاءً، بل هو مجرد طلب مثل طلبنا من الإنسي فيما يقدر عليه باطل مردود، وليس لهم دليل إلا قياس فاسد، والقيود المذكورة غير منضبطة، والجن عالم غيب، وحكم حاضرهم كغائبهم، والسؤال منهم شرك أكبر.

الشرك أخفى من دبيب النمل في هذه الأمة : الشرك يدب إلى هذه الأمة دبيب النمل، وتلحق فئام منهم بالمشركين، وقد حذرنا النبي ﷺ منه أشد تحذير، وبالغ في التغليظ فيه، ومما أورد البخاري في هذا الباب من كتابه الأدب المفرد حديثُ معقلِ بن يسار ﷺ، يقول: (انطلقت مع أبي بكر الصديق ﷺ إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا بكر لَلشرك فيكم أخفى من دبيب النمل، فقال أبو بكر وهل الشرك إلا من جعل مع الله إلها آخر؟ قال النبي ﷺ والذي نفسي بيده لَلشرك أخفى من دبيب النمل، ألا أدلك على شيء إذا قلته ذهب عنك قليلُه وكثيرُه؟ قال قل: اللهم إني أعوذ بك أن أُشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم)[2]. وقد ورد في كتب التفسير عن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما موقوفا ومرفوعا: (يأتي على الناس زمان الشرك فيه أخفى من ذرة سوداء على صفاة سوداء في ليلة ظلماء)[3]، وعن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان)[4].

المقدمات التي يتوصل بها الملبسون إلى نتائج وخيمة كما يلي: الاستعانة بالجن شرك، والأحاديث الواردة فيها ضعيف، والعمل بها حرام، والإمام أحمد عمل به، والنووي أورده في أذكاره وقال بأنه جربت منفعته، والشوكاني أجازها، والاستعانة بصالحي الجن الحاضر فيما يقدرون عليه كالاستعانة بالآدمي فيما يقدر عليه، ولو كان شركا لما قال أو عمل به الأئمة، فالروايات متنها سليمة وإن كان في أسانيدها ضعف، وفي نهاية المطاف أصبح العوام يعتقدون أن الاستعانة بالجن ليست بشرك، بل هو جائز، وأقرها الأئمة قولا وعملا... انظروا كيف يدب الشرك دبيب النمل إلى مجتمعنا الحاضر! وعلى لسان من يدعون أنهم من دعاة الحق إلى التوحيد والسنة!! وهذا مآل من يخوض في المراء والخصومات

١- الشيخ صالح الفوزان في درسه لكتاب بلوغ المرام في ١٤٣٣/٧/٢٩هـ، راجع شبكة سحاب السلفية

١- البخاري في الأدب المفرد ص ٢٥٠

٢- انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ١٩٦، والطبري ج ١ ص ٣٦٩

٣- أبو داود في سننه، كتاب الفتن

في الدين، وقال الحافظ ابن رجب: كان عمر بن عبد العزيز يقول إذا سمعت المراء فأقصر، وقال: من جعل دينه عرضاً للخصومات أكثر النقل[1]. انتهى كلامه، وهذا مآل من يُقعِّد القواعد ليحكم بها على النصوص، وقال رحمه الله في موطن آخر: ومن ذلك أعني محدثات العلوم ما أحدثه فقهاء أهل الرأي من ضوابط وقواعد عقلية ورد فروع الفقه إليها، وسواء أخالفت السنن أم وافقتها طرداً لتلك القواعد المقررة وإن كان أصلها مما تأولوه على نصوص الكتاب والسنة[2].

الروايات الثلاث الضعيفة التي يستدل بها الملبسون في الاستعانة بالجن: أولا؛ ما رواه الطبراني وأبو يعلى في مسنده وعنه ابن السني في عمل اليوم والليلة عن معروف بن حسان السمرقندي عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن عبد الله بن بريدة عن عبد الله بن مسعود مرفوعا قال: (إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا علي، يا عباد الله احبسوا علي، فإن لله في الأرض حاضرا سيحبسه عليكم)، قال الألباني في سلسلته الضعيفة: (وهذا سند ضعيف، وفيه علتان؛ الأولى: معروف هذا فإنه غير معروف، قال ابن أبي حاتم عن أبيه إنه مجهول، وأما ابن عدي فقال إنه منكر الحديث، وبهذا أعله الهيثمي فقال بعد أن عزاه لأبي يعلى والطبراني: وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف. الثانية: الانقطاع، وبه أعله الحافظ ابن حجر فقال: حديث غريب، أخرجه ابن السني والطبراني، وفي السند انقطاع بين ابن بريدة وابن مسعود[3].

ثانيا؛ ما رواه الطبراني في الكبير، قال حدثنا الحسين بن إسحاق حدثنا أحمد بن يحيى الصوفي حدثنا عبد الرحمن بن شريك قال حدثني أبي عن عبد الله بن عيسى عن ابن علي عن عتبة بن غزوان عن نبي الله ﷺ قال إذا أضل أحدكم شيئا، أو أراد أحدكم غوثا، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عبادا لا نراهم، وقد جرب ذلك، وقال الألباني رحمه الله في سلسلة الأحاديث الضعيفة: وهذا سند ضعيف، وفيه علل، (١ و٢) عبد الرحمن بن شريك وهو ابن عبد الله القاضي وأبوه كلاهما ضعيف، قال الحافظ في الأول منهما صدوق يخطيء، وقال في أبيه صدوق يخطيء كثيرا، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة، وقد أشار إلى هذا الهيثمي بقوله في المجمع رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم، إلا أن يزيد (كذا) بن علي لم يدرك عتبة، (٣) الانقطاع بين عتبة وابن علي، هكذا وقع في أصلنا الذي نقلنا منه الحديث (ابن علي) غير مسمى، وقد سماه الهيثمي كما

١- بيان فضل علم السلف على علم الخلف

٢- بيان فضل علم السلف على علم الخلف

٣- أنظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ج ٢ ص ١٠٩

سبق (يزيد)، وأنا أظنه وهما من الناسخ أو الطابع، فإنه ليس في الرواة من يسمى (يزيد بن علي) والصواب (زيد بن علي) وهو زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة ثمانين، ومات عتبة سنة عشرين على أوسع الأقوال فبين وفاته وولادة زيد بن علي دهر طويل[1].

ثالثا؛ ما رواه البزار في زوائده والبيهقي في الشعب، حدثنا موسى بن إسحاق حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا حاتم بن إسماعيل عن أسامة بن زيد عن أبان ابن صالح عن مجاهد عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: إن لله تعالى ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصابت أحدَكم عرجةٌ بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله أعينوني، قال الألباني في سلسلته الضعيفة: (فالحديث عندي معلول بالمخالفة، والأرجح أنه موقوف).[2]

ابن المبارك لم يستجز العمل بها: وهذا؛ عبد الله بن المبارك، أحد الأئمة الأعلام، وحفاظ الإسلام، وشيخ خراسان —كما في ذم الكلام للهروي – قد ضل في بعض أسفاره في طريق، وكان قد بلغه أن من اضطر في مفازة فنادى عباد الله أعينوني أُعين، قال: فجعلت أطلب الجزء أنظر إسناده، قال الهروي: فلم يستجز أن يدعو بدعاء لا يرى إسناده، وقال العلامة المحدث الألباني في سلسلته الضعيفة معلقا على هذه الحكاية: فهكذا فليكن الاتباع[3].

ليس المراد بعباد الله صالحي الجن في هذه الروايات : وليس ثمت مجال أن يستنتج من هذه الروايات أن المراد بعباد الله هم صالحو الجن لأسباب؛ أولها؛ أن الرويات المذكورة ضعيفة أو معلولة، فلا يلتفت إليها لاستنتاج المعاني واستنباط الأحكام كما فعل ابن المبارك رحمه الله، وثانيها؛ أنه لم يرد فيها ما يصرح أن المراد بعباد الله هم صالحو الجن، وثالثها؛ أن النبي ﷺ وأصحابه لم يستعينوا بالجن في حال من الأحوال، ورابعها؛ أن الشرع قد جاء بالتحذير من الاستعانة بهم، وخامسها؛ أن العبد لا يتوجه بقلبه إلا إلى الله في حالة الإضطرار، وقال تعالى في سورة النمل (أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون) [النمل : ٦٢]، وسادسها؛ أن النبي ﷺ كان على علم تام بأن قرينه من الجن مسلم صالح، فلم يستعن به في شيء من أمور دينه ودنياه، حتى في المباحات، وقد ثبت عند مسلم وغيره عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا وإياك يا رسول الله؟ قال: وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا

١- انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة ج ٢ ص ١١٠

٢- سلسلة الأحاديث الضعيفة ج ٢ ص ١١١

٣- سلسلة الأحاديث الضعيفة ج ٢ ص ١٠٩

يأمرني إلا بخير)[1]، وسابعها؛ أن ما صح عن النبي ﷺ فيما يفعل المرء إذا طرأت عليه حالة اضطرارية في مفازة أو غيرها هو مارواه أبو داود في سننه وصححه الألباني عن أبي جري جابر بن سليم قال: (رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا إلا صدروا عنه، قلت من هذا؟ قالوا هذا رسول الله ﷺ، قلت عليك السلام يا رسول الله مرتين، قال: لا تقل عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الميت، قل السلام عليك، قال: قلت أنت رسول الله؟ قال: أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك، وإذا كنت بأرض قفراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك، قلت: اعهد إلي، قال: لا تسبن أحدا، قال فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة، قال: ولا تحقرن شيئا من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك، إن ذلك من المعروف، وارفع إزارك إلى نصف الساق، فإن أبيت فإلى الكعبين، وإياك وإسبال الإزار فإنها من المخيلة، وإن الله لا يحب المخيلة، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه[2].

لم يتعرض العلماء لبيان المراد بعباد الله بسبب كونها ضعيفة : ومن تتبع الآثار والأقوال في هذه المسألة يتضح له جليا أن علماء الإسلام لم يتعرضوا لبيان المراد بعباد الله في هذه الروايات، ولا لبيانِ فقهِها ومعانيها الأخرى لأنها ضعيفة أو معلولة، لا طائل تحتها.

عند ما وجد المناهض انبرى العلماء لرده على تقديرات المخالفين الفاسدة : كانت هذه الروايات الضعيفة مغمورة في بطون الكتب في أول الأمر، وما كان يستدل بها أحد على شيئ، ولم يعقد عليها ولاء ولا براء، والمخالفات الشرعية أو الروايات والأقوال الضعيفة إذا كانت مغمورة غير معروفة في الأمة فلا يتصدى لها العلماء بالرد عليها وبيان حالها، ومن هذا المنطلق لم يتكلم العلماء في معاني هذه الروايات، اللهم إلا ما يتعلق بضعفها وعلتها، ثم أتى على الأمة زمان، ابتعدوا فيه عن تعاليم هذا الدين الحنيف، وعن أساس دعوة الرسل، فبدأوا يدعون الأموات، وينذرون للأضرحة والقبور، ويستغيثون برجال الغيب من الأقطاب والأبدال المزعومين، وكل ذلك على حساب الدين، فاحتاجوا إلى هذه الروايات الضعيفة للاستدلال بها على شركياتهم، و ابتكروا معاني محدثة لا تحتملها كلماتها، وصارت دعواهم منتشرة في الأمة، هكذا وُجد المناهض، فانبرى له العلماء بالرد على تأويلاتهم الباطلة على تقديراتهم وافتراضاتهم، وكالوهم بمكيالهم وميزانهم باعا بباع، ومن هذه الردود أن المراد بعباد الله في هذه الروايات لا يحتمل أن يكون ميتا أو أن يكون أحدا من الأقطاب والأبدال من رجال الغيب أبدا، وإن احتمل الملئكة أو الجن،

١- مسلم في صحيحه، صفة القيامة والجنة والنار

٢- أبو داود في سننه، كتاب اللباس

كما قال العلامة محمد بشير السهسواني في صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان والعلامة سليمان بن سحمان في عدة كتب، منها كشف غياهب الظلام، والصواعق المرسلة الشهابية، والضياء الشارق، والعلامة زيد بن محمد آل سليمان، والعلامة عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين في كتابه تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، والعلامة أحمد بن عيسى في الرد على شبهات المستعينين بغير الله، والعلامة عبد العزيز الحصين، والإمام ابن باز في مسائله، ومعالي الشيخ صالح آل الشيخ وغيرهم، ومما يصدِّق كلامنا هذا أنه لم يتصد أحد من العلماء لبيان المراد بعباد الله في هذه الروايات إلا في معرض الرد على من يستدل بها للاستعانة بالأموات ورجال الغيب، وأن جميع العلماء الذين تصدوا لبيانه هم الذي عايشوا هذا المناهض وردوا على هذه الشبهات، وليس أحد منهم من العلماء القدامى الذين عاشوا قبل وجود هذا المناهض.

وردهم على تقديراتهم الفاسدة بمكيالهم لا يعني أن المراد بعباد الله في هذه الروايات هم صالحو الجن، ولا يدل على جواز الاستعانة بهم إن كانوا صالحين وحاضرين وقادرين، وهذا أمر متحتم للأسباب التي ذكرنا سابقا، ولما أن الرد وارد على تقديرات المخالفين وافتراضاتهم، وبمكيالهم باعا بباع، فما ورد في هذا المعرض لا يكون إلا أمورا افتراضية أو تقديرية، وليست بيانا حقيقيا لها، إضافة إلى ذلك أنه لا يمكن للإنسان أن يجزم أن الجني صالح أو قادر أو حاضر، كل ذلك خرص وتخمين، وحال الملبسين في ذلك كما قال الله تعالى في سورة يونس (إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون)، والنبي ﷺ مع ما كان على علم تام بأن قرينه من الجن قد أسلم لم يستعن به في شيء من أمور دينه أو دنياه أو من المباحات كما زعموا، فليكن موقفنا في هذه المسألة تجريدَ المتابعة كما فعل ابن المبارك والألباني وغيرهما.

مناقشة ما نسب إلى الإمام أحمد باستعانته بالجن : قال ابنه عبد الله في المسائل [رقم : ٩١٢] (سمعت أبي يقول: حججت خمس حجج، منها ثنتين راكبا، وثلاثة[1] ماشيا، أو ثنتين ماشيا، وثلاثة[2] راكبا، فضللت الطريق في حجة، وكنت ماشيا، فجعلت أقول: يا عباد الله دلونا على الطريق، فلم أزل أقول ذلك حتى وقعت على الطريق، أو كما قال أبي. [مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله، تحقيق زهير الشاويس، طبعة المكتب الإسلامي ص ٢٤٥]

---

١ و ٢ كذا ، والصواب ثلاثا ، ولعل هذا من النساخ

٣- مناقب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي طبعة هجر ص ٣٨٨

هذه القصة عن الإمام أحمد، ليس فيها أنه استعان بالجن ! بل الظاهر المتبادر أنه نادى من حضره من إخوانه المسلمين من أهل ذلك الطريق أو العابرين فيه، ولعلهم لبعدهم أو لعدم رؤيتهم نادى بذلك حتى يدله على الطريق من كان موجودا ممن يسمع قوله !

وما عرف عن الإمام أحمد وعن السلف الصالح يؤكد هذا المعنى.

وأما جعل هذه القصة دليلا على ذلك فهو بعيد خاصة وأن الإمام أحمد سيتوجه لسؤال الله عز وجل قبل توجهه للجان !

فإن قيل: بل مراد الإمام أحمد الاستعانة بالجن فجوابه من وجوه:

الأول: أن هذه القصة واقعة عين لا يعلم ما ملابساتها، فلا يعم الاستدلال بها لأن واقعة العين يتطرق إليها الاحتمال، وما تطرق إليه الاحتمال فلا يعم الاستدلال به، فكيف بمسائل العقيدة التي جاءت الأدلة بخلافها.

الثاني: أن هذا القول مدسوس على الإمام أحمد، لقد وفقني الله لعرض هذه الرسالة على الشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله في مكتبته العامرة، وبحضرة كل من الشيخ أحمد بن يحيى الزهراني والشيخ خالد عبد الرحمن المصري والشيخ أبي العباس عادل منصور والشيخ أبي عبد الأعلى خالد المصري، حفظهم الله جميعا، وذلك ليلة الإثنين ١٩ جمادى الثانية ١٤٣٤هـ، فأرشدني– جزاه الله خيرا – إلى عدة أمور؛ ومنها:

(إن الاستعانة بالجن من عمل السحرة والكهان، والاستعانة بهم شرك، ولا يتعين بما ورد في الرواية المذكورة (يا عباد الله ! دلونا على الطريق) أنهم الجن، وما ورد في مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد الله من قوله (يا عباد الله ! دلونا على الطريق) لعله قول مدسوس، ولا يظن بالإمام أحمد أنه استعان بغير الله من جني أو غيره حين ضل الطريق، ولو ضل الطريق لكان قد سأل من يسمع صوته من الحجاج وغيرهم من الإنس دون الجن).

ومن القرائن التي تدل على أن هذا القول مدسوس إن هذه الرواية غير موجودة في مسائل الإمام أحمد برواية ابنه صالح، وقد أوردها الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي في كتابه الجرح والتعديل، [الجرح والتعديل، طبعة دار إحياء التراث العربي ج ١ ص ٣٠٤]، وليس فيها ذكر هذه

الاستعانة، وقد نقل ابن الجوزي هذه القصة في مناقب الإمام أحمد[1] ، وليس فيه أيضا ذكر هذه الاستعانة. ولا يمكن الجزم براويه عن عبد الله من هو؟ وعقد الدكتور علي سليمان المهنا محقق كتاب مسائل الإمام أحمد مبحثا مستقلا في راويه عن عبد الله، ولم يستطع أن يجزم، بل قال: (وعلى هذا فالظن الغالب أن راوي هذا الكتاب هو أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك أبو بكر القطيعي). [مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه عبد الله، تحقيق ودراسة: الدكتور علي سليمان المهنا ج١ ص ١٥٠-١٥١]

وقد علق الشيخ العلامة ربيع المدخلي حفظه الله على ما كتبت بكلام نفيس، وهذا نصه: (ولا أرى أن القطيعي يروي هذه القصة، بل أكاد أقطع أنها مدسوسة من بعض أهل الضلال). انتهى كلامه حفظه الله.

الثالث: على فرضية صحته فمن المسلمات عند أهل السنة أن كل قول أو فعل مخالف للحق لا يقبل، بل مرفوض.[2]

إيضاحا لما تقدم أقول: إن ما نسب إلى الإمام أحمد من أنه حينما ضل الطريق في إحدى حجاته جعل يقول: (يا عباد الله! دلونا على الطريق)، فهذا أمر مدسوس، لا يهتدي إلى مثله إلا ناقد موفَّق مثل ربيع السنة – أمد الله في عمره وعلمه – ولكن إن مما لا يشكل على أحد أن المراد بعباد الله في الرواية المذكورة ليس بصالحي الجن، ولم يصرح بذلك الإمام أحمد، ولا ابنه عبد الله، ولم يصرح أحد من أئمة الإسلام أن الإمام أحمد أراد بذلك صالحي الجن، أو أنه استعان بالجن، وليس في أصل الرواية أنه ضل الطريق في مفازة بحيث لا يمكن أن يسأل إخوانه المسلمين من أهل ذلك الطريق أو العابرين فيه، بل هو من إيهامات الملبسين، ومن قال غير ذلك فعليه بالدليل، وإلا فسيكون كلامه في غاية الخيث، وهو تهمة وتنقص لإمام السنة المبجل، وهو منه برىء.

شيخ الإسلام ابن تيمية لم يجوز الاستعانة بالجن في المباحات : وقد التبس أناس بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد، وإليكم نص كلامه:

(والمقصود هنا أن الجن مع الإنس على أحوال: فمن كان من الإنس يأمر الجن بما أمر الله به ورسوله من عبادة الله وحده وطاعة نبيه، ويأمر الإنس بذلك، فهذا من أفضل أولياء الله تعالى، وهو في ذلك من خلفاء الرسول ونوابه. ومن كان يستعمل الجن في أمور مباحة له فهو كمن استعمل الإنس في أمور

---

١ مناقب الإمام أحمد بن حنبل لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي طبعة هجر ص ٣٨٨

٢ ما ورد كتب بالحروف المكبرة من إضافات الشيخ الدكتور/ أحمد عمر بازمول حفظه الله

مباحة له، وهذا كأن يأمرهم بما يجب عليهم وينهاهم عما حرم عليهم، ويستعملهم في مباحات له، فيكون بمنزلة الملوك الذين يفعلون مثل ذلك، وهذا إذا قدر أنه من أولياء الله تعالى فغايته أن يكون في عموم أولياء الله مثل النبي الملك مع العبد الرسول: كسليمان ويوسف مع إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

ومن كان يستعمل الجن فيما ينهى الله عنه ورسوله إما في الشرك وإما في قتل معصوم الدم أو في العدوان عليهم بغير القتل، كتمريضه وإنسائه العلم وغير ذلك من الظلم، وإما في فاحشة كجلب من يطلب منه الفاحشة، فهذا قد استعان بهم على الإثم والعدوان، ثم إن استعان بهم على الكفر فهو كافر، وإن استعان بهم على المعاصي فهو عاص: إما فاسق وإما مذنب غير فاسق، وإن لم يكن تام العلم بالشريعة فاستعان بهم فيما يظن أنه من الكرامات: مثل أن يستعين بهم على الحج، أو أن يطيروا به عند السماع البدعي، أو أن يحملوه إلى عرفات ولا يحج الحج الشرعي الذي أمره الله به ورسوله، وأن يحملوه من مدينة إلى مدينة، ونحو ذلك فهذا مغرور قد مكروا به.

وكثير من هؤلاء قد لا يعرف أن ذلك من الجن، بل قد سمع أن أولياء الله لهم كرامات وخوارق للعادات، وليس عنده من حقائق الإيمان ومعرفة القرآن ما يفرق به بين الكرامات الرحمانية وبين التلبيسات الشيطانية، فيمكرون به بحسب اعتقاده، فإن كان مشركا يعبد الكواكب والأوثان أوهموه أنه ينتفع بتلك العبادة، ويكون قصده الاستشفاع والتوسل ممن صور ذلك الصنم على صورته من ملك أو نبي أو شيخ صالح، فيظن أنه صالح، فتكون عبادته في الحقيقة للشيطان، قال الله تعالى: (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون. قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون)[1] انتهى كلامه رحمه الله.

الجواب عن كلام ابن تيمية: **وظاهر كلام ابن تيمية لا يفهم منه تجويز الاستعانة بالجان مطلقا؛ لأن غايته استعمالهم فيما يقدرون عليه من الأمور المباحة مما لا يفضي إلى الشرك ولا يقرب منه، وهذا أمر نادر لا حكم له، إذ من يتعامل مع الجان لا يتعاملون معهم إلا فيما تعسر عليهم أو عجزوا عنه، والغالب الأعم استعمال الجان في أمور تفضي بهم إلى الشرك، بل هي من الشرك، إذ جعل ما ليس سببا سببا، اعتبره العلماء من الشرك كما تقدم (انظر صفحة رقم ١٥-١٦)، وكما أن صرف شيء من العبادة لغير الله مع تعلق القلب من أكبر الأسباب المفضية**

١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١١ ص ٣٠٧

للشرك، بل هي الشرك الظاهر الواضح الذي جاء الشرع الحنيف بمحاربته بكل صوره وأشكاله كما تقدم (صفحة رقم ١٦).

ثم إن هذا الأمر – أعني استعمالهم في الأمور المباحة – لا يعرف عن السلف أبدا، إنما ادعاه قوم من المتصوفة والزهاد ممن لبس عليهم الشيطان، وترك السلف لاستعمال الجان مع قدرتهم عليه دليل واضح على عدم جوازه مطلقا، وذلك أن الاستعانة عبادة لله لا يجوز صرف شيء منها إلا بدليل، وقد دل الدليل على جواز الاستعانة بالحي الحاضر من الإنس فيما يقدرون عليه.

ولا شك أن الاستعانة بالجان قد تخلف عنها شرطان:

الأول: كونهم من غير جنس البشر، بل هم عالم مستقل، لهم أحكامهم المختصة بهم.

الثاني: أن الجان عالم خفي، فحضورهم كغيابهم، لا يترتب عليه حكم، فالحاضر منهم بالنسبة لنا كالغائب.[1]

ومما يزول به إشكال أي طالب علم في هذا الباب فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، رقم ١٨٢٥٥ – سؤال: نسأل فضيلتكم عن الأحاديث التي صحت عن النبي ﷺ في تخريج الجن وعن حكم الاستعانة في المباحات، وما مدى صحة ما ينقل عن ابن تيمية رحمه الله في هذا الموضوع؟ جزاكم الله خيرا. جواب: لا نعلم حديثا عن النبي ﷺ خاص لتخريج الجن من الإنسان، ولكن المصاب بالجن يعالج بالقرآن وبالرقية الشرعية، كما كان السلف يفعلون ذلك، ولا يجوز الاستعانة بالجن والغائبين؛ لأن ذلك من الشرك، ولا نعلم كلاما صريحا لشيخ الإسلام ابن تيمية بجواز ذلك.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس	نائب الرئيس	عضو	عضو	عضو
عبد العزيز بن عبد الله بن باز	عبد العزيز آل الشيخ	عبد الله بن غديان	صالح الفوزان	بكر أبو زيد

وقد أفادني الشيخ طارق السبيعي حفظه الله أن الكلام المذكور آنفا لشيخ الإسلام ابن تيمية لا يعني أنه جوّز الاستعانة بالجن، ولو سلمنا فرضا أنه يجوّز الاستعانة بهم في المباحات ما استقامت معاني هذه الفقرة المذكورة، وكذلك بقية كلامه في مصنفاته العديدة تردُّ ذلك، إذ الجني لا يبذل شيئا للإنسان إلا بعوض، ولا يقتنع إلا بالكفر والشرك والفسق عوضا من الإنسان.

---

١ ما طبع بالحروف المكبرة من إضافات الشيخ الدكتور أحمد عمر بازمول حفظه الله

ومما يؤيد هذا المعنى قول الشيخ العلامة ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله إجابة على سؤال، وإليكم نص كلامه: السؤال: هل من حرج أو جناح في الاستعانة بالجن في الأمر المباح والمقبول شرعا، علما أنه ليس هناك عمل أي شرك أو معصية مع الجن ؟

الجواب: (الاستعانة بالجن تدل على أن المستعين قد وقع في الشرك، لأنه لا يساعدونه إلا بعد أن يكفر بالله عز وجل إما يبول على المصحف أو يصلي إلى غير القبلة أو يصلي وهو جنب، لا بد أن يرتكب مكفرا، بعد ذلك يتعاون معه، والذي يقول لك أنا مسلم فلا تصدقه لأنه كذاب، فيه مسلمون، لكن إثبات إيمانه يحتاج إلى أدلة)[1].

فاتضح لنا مما سبق أن قول القائل الاستعانة بالجني المسلم الحاضر فيما يقدر عليه من المباحات جائزة فقوله مردود، والاستعانة بهم في المباحات أمر غير متيسر إلا بعوض، وهو الشرك والكفر والفسق، وهم عالم غيب لا يقاس بعالم الشهادة، وحكم حاضرهم كغائبهم، والاستعانة بهم شرك.

شبهة أن النووي أورده في أذكاره والشوكاني جوزه في تحفته وأن منفعته مجربة : نعم؛ كل هذا لا يكفي لإثبات حكم في دين الله، لا في الأصول ولا في الفروع، وأقوال العلماء يستدل لها، ولا يستدل بها، وليس أحد بعد رسول الله ﷺ قدوةً بذاته، وإنما يكون التأسي بالعلماء على قدر ما يكون فيهم من القدوة والتأسي برسول الله ﷺ، وليس لأحد قدوة بالنبي ﷺ في هذه المسألة الخطيرة، مسألة الاستعانةِ بالجن، وأما دعوى أن منفعته قد جربت فمردود من أصلها كما أوضح ذلك الشوكاني نفسه في كتابه تحفة الذاكرين: السنة لا تثبت بمجرد التجربة، ولا يخرج الفاعل للشيء معتقدا أنه سنة عن كونه مبتدعا، وقبول الدعاء لا يدل على أن سبب القبول ثابت عن رسول الله ﷺ، فقد يجيب الله الدعاء من غير توسل بسنة وهو أرحم الراحمين، وقد تكون الاستجابة استدراجا، انتهى قوله رحمه الله، وتجدُر بنا الإشارة إلى أمرين، أولهما؛ أن النووي لم يصرح أن المراد بعباد الله في هذه الروايات هم صالحو الجن، ولم يصرح أنه استعان بملك أو جني صالح حاضر قادر، وليس له ولا لغيره أن يميز بين الصالح والطالح والقادر والعاجز من الجن، وثانيهما؛ أن العلماء والفقهاء يصيبون ويخطئون، والأصل في ذلك ما قاله إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله: ما منا من أحد إلا رد ورد عليه إلا صاحب هذا القبر، وقال: كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر.

---

١ – فتاوى في العقيدة والمنهج للشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي ص ٧٦

حماية المصطفى لجناب التوحيد : والمسألة تدور بين توحيد الله عز وجل والإشراك به، وبين الإسلام والردة، وليس لأحد أن يتخذ موقف الشك أو التوقف، فليكن معلوما عند كل أحد ما قام به المصطفى ﷺ من الحماية البالغة لجناب التوحيد، وأكتفي بذكر حديث واحد في هذا المقام مسترشدا بقول النبي ﷺ (ما قل وكفى خير مما كثر وألهى)[1]، ألا وهو حديث أبي واقد الليثي أنه قال: (أن رسول الله ﷺ لما خرج إلى حنين مر بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: سبحان الله ! هذا كما قال قوم موسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) [الأعراف : ١٣٨]، والذي نفسي بيده لتركبين سنة من كان قبلكم)[2]. وللأسف أن قلب الملبس لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا إلا ما أشرب من هواه، وأصبح حال كثير منهم كما قال ابن تيمية في فتاويه: (وقسم ثالث معرضون عن عبادة الله وعن الاستعانة به جميعا، وهم فريقان؛ أهل دنيا وأهل دين، فأهل الدين منهم هم أهل الدين الفاسد الذين يعبدون غير الله، ويستعينون غير الله بظنهم وهواهم، (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) [النجم : ٢٣]، وأهل الدنيا منهم الذين يطلبون ما يشتهونه من العاجلة بما يعتقدونه من الأسباب)[3]. انتهى كلامه رحمه الله.

لا يصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله : وأختتم هذه الرسالة بوصية إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله قال: (كان وهب بن كيسان يقعد إلينا ولا يقوم أبدا حتى يقول لنا اعلموا أنه لا يصلح آخر هذا الأمر إلا ما أصلح أوله)[4]. أخرجه الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي في كتابه التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.

واللهَ أسأل أن يرزقنا جميعا الإخلاص والصواب في كل قول وعمل، وأن يحيينا على التوحيد والسنة إلى أن نلقاه، وهو الموفق والهادي إلى سواء السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(انتهيت من تحرير هذه الرسالة بالعوالي في مكة المكرمة ليلة الأربعاء ٢٨ جمادى الثانية ١٤٣٤هـ)

كتبه راجي عفو ربه:

أبو طارق الزبير بن محمد

٢- صحيح الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٤٠

٣- أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبين سنن من كان قبلكم، وصححه الألباني

١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج ١٤ ص ١٢

٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ج ٢٣ ص ١٠